المنهج القرآني في بناء عقيدة البعث

أ.سعاد روابح
جامعة الجزائر1

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن نصره ووالاه.

ملخّص الدراسة

جاء بيان القرآن الكريم شافيا كافيا يستدل على إمكان البعث بما تُقر به العقول السليمة وتُذعن له، من خلال استدلالاته القطعية التي لا تُعوزها أقْيِسة المناطقة وتعقيداتُ المتفلسِفين؛ وذلك بما ارتكزت عليه من مقدّمات صادقة لا تنكرها الفِطَر النَّقية. وردّ بردودٍ مفحمةٍ للعقول التي استعصى عليها استيعاب الحقائق مستثيرًا إياها لتدرك اليقين، ولتُحصِّل العلم الصحيح، فلمنهجه في تثبيت الحقائق وبنائِها طبيعة متفردة، وخصائص متميزة بما تضمَّن من قواعد الاستدلال والبرهان على مسلَّمات لا يغيب فهمها على ذوي الألباب. وعليه، تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بـالمنهج القرآني في بناء عقيدة البعث، لدعوة الناس إلى تفعيل هذا المنهج واستحضاره في حياتهم. كما تحاول إبراز قيمة عقيدة البعث ودورها الفاعل في البعث الحضاري والأخلاقي، إضافة إلى ما تبعثه في النفوس من إيمان متشبِّع بالعبودية لله عزوجل، يستمرئ حقائق الوجود وينهض لأجل تحقيق غايات الخلق. وبناءً على ذلك توصلت نتائج الدراسة إلى أن القرآن معين لا ينضب البحث فيه، وهو معجز وتحمل آيات البعث فيه دلالات الإعجاز الذي يدفع نحو تحقيق النصرة والتمكين، كما أن البعث يُسلم الإنسان من عيش المتناقضات؛ بين مُتع الدنيا والإقبال على الله.

Abstract

Koran statements came with clear, concise answers that assume the possibility of resurrection (El-Baàth), as recognized by sound minds and bow to him through authoritative deductions which do not lack analogies and complexities of certain logicians and philosophers, based upon sincere introductions that cannot deny the pure human nature. This latter responded evidently to the compelling minds that could not understand the facts which lead to certainty and the right knowledge. Hence, it aims at defining the Quranic approach in the construction of the ideology of Resurrection, in order to invite people to the establishment of this approach in their own lives, as it demonstrates the value of this doctrine resurrection (El-Baàth) and its effective role in cultural and moral education. The researcher employs the inductive approach to describe and explore the Quranic method in the construction of the ideology of resurrection. Consequently, the study concludes that the ideology of resurrection brings human beings out of the living contradictions between the pleasures of this world and the appreciation of God. Hence, the Quranic approach has a very important role in installing and constructing the facts which are very unique and distinct, including guarantees of the rules of inferences and evidences of the postulations which are well known by experts and professionals.

مقدمة

يُعفي القرآن الكريم البشر من مشقَّة البحث عن المصير المجهول بعد الموت، ويكفيهم مغبَّة التفكير المحدود الذي لا يوصل إلى معرفة بعينها أو إلى أية نتيجةٍ، حيث لا يمكن لعقول البشر أن تحيط بالمغيَّبات علماً، فالبعث غيب محض عجزت عقول المنكرين عن فهمه فتاهت عن هذا الحق الذي استوفى القرآن الكريم بيانه، فكان لمنهجه طبيعة خاصة في عرض الحقائق، وخصائص جوهرية، ويمتاز أيضا بجملة قواعد تشرح طريقته في الوصول بالناس إلى تكوين رؤية واضحة عن عقيدة البعث، وكيفية بناء القناعات حِيالها؛ البناء الذي لا تزعزعه الرِّيَبُ والظنون.

إشكالية البحث

وقد جاء خطاب القرآن الكريم في عرض عقيدة بعث الخلائق متميزا، منفردا في تقرير حقائق تجاوزت إثبات حتمية البعث إلى بيان حقائق كونية، هي دالة عليه، لكنها تمتد لتضيف للبشر معارف يقينية، وتعطي الخطاب رؤية كلية شاملة ومتكاملة تبزُّ كل خطاب، لتقنع الناس عبر مستويات الاستدلال المختلفة بضرورته وحتميته. فكيف عالج القرآن الكريم قضية البعث؟

- ما هي المسالك التي استدل بها في الإقناع؟ وهل نعتبره إقناعا فعلا أو هو إكراه يستبد ويعصف بالقناعات؟
- إلى أي مدى يمكن أن تبلغ أدلته في استمالة العقول؟ وأيُّ مستوىً يمكن أن تصل إليه بالإقناع، أي هل هو خطاب العامة أو الخاصة من الناس أو لكلا الفئتين؟
- وهل نفهم عقيدة البعث ضمن رؤية حبيسة على اليوم الآخر ونهاية الكون أو نعتبر آيات البعث مجالا واسعا يمهد للإهتمام بشؤون الدنيا إلى جانب شؤون الآخرة؟

أهداف الدراسة

حقيقة، إنه لَتُعوزنا قوة إيماننا وإراداتنا الفاعلة إلى تربية العقلية المؤمنة التي يكون محركها الأساس عقيدة البعث واليوم الآخر، والتي تدفع بالأجيال إلى النهوض بأعباء الأمانة التي حُمِّلْناها دون سائر مخلوقات الله عز وجل. خاصة وقد ذُهلنا عن منهج القرآن القويم المتكامل في دعوته إلى استحضار الآخرة في غمرة الاستئناس بالحياة الدنيا وتقلُّباتها، التي لا تدل إلا على ضحالة قيمتها ووزنها في مقابل ما تنذر أو تبشِّر به عقيدة بعث الخلائق من جزاء لاستيفاء الحقوق والأعواض التي فاتتهم في دار الفناء.

لذلك وجدت من الأهمية بمكان التعريف بـ**المنهج القرآني في بناء البعث**، لدعوة الناس إلى تفعيل هذا المنهج واستحضاره في حياتهم.

وإن تكن عقيدة البعث صِنوُ حقيقة التوحيد والمُعرِّف الحقيقي بالله عز وجل وصفات الكمال فيه، فهي الأساس الذي من دونه تنهار أسس الإيمان، ومن ثمَّ فلا بد من إبراز قيمة عقيدة البعث ودورها الفاعل في البعث الحضاري والأخلاقي، إضافة إلى ما تبعثه في النفوس من إيمان متشبِّع بالعبودية لله عز وجل، يستمرئ حقائق الوجود وينهض لأجل تحقيق غايات الخلق.

الدراسات السابقة

إن الدراسات الجادة الخاصة بالبعث **قليلة خاصة** في جانبها التحليلي للمفهوم، ونجد من بين من استفاضوا في التعريف بالبعث وبيان إعجاز أدلته الإمام الفخرُ الرازي في كامل أجزاء تفسيره تقريبا، وهو من اعتمدتُ من التفاسير، والذي جاءت أغلب الدراسات عالة عليه، خاصة في إيراد أدلة إثبات البعث، أما أغلب المراجع **فكانت شَحيحةً** في بيان قيمة آيات البعث في التربية الحضارية والتربية السُّننية التي تماشى والسنن الإلهية وخاصة الكونيةَ منها سواء عند القدامى أو المحدَثين؛ مع أن منهج القرآن في التدليل على البعث بيِّن لا يخفى، غير أن الدارسين له أغفلوا كثيرا من خصائصه التي تعلن عن نفسها بقوة في الآيات الكثيرات التي حفلت بالأدلة والأمثلة التي تقنع الناس تلقائيا دونما غصب للقناعات، وما وجدتُ أكثر الدراسات إلا تكرارا وسردا يخلو من بيان قيمة هذه العقيدة في صُنع الأمة التي تُعلي دينها بدُنياها؛ التي وجَّهت آيات البعث باستثمار حقائق الكون لأجل أن تُقوِّمها وتُقيمها، فلم ترتكز الأدلة على سنن الله هكذا اعتباطا.

وكان من بين ما اطلعتُ عليه: رسالة البعد العقدي للأمثال القرآنية[1] التي استفدت منها تقسيمه لدلالات البعث، مع أني أعيب عليه إغفاله لدلالة الوحي أو النقل فهي ما يثبت الوقوع. وخانه تقديره في إدراجه الحكمة الإلهية من البعث وعدله تعالى ضمن عنصر نفي العبثية

في الخلق الذي يأتي تحت عنصر أكبر وهو دلالة العقل، حيث إن نفي العبث عن الله وإثبات القدرة والحكمة له ينسحب على كل دلالات البعث (الآفاق والأنفس، التاريخ، العقل).

واطلعت أيضا على دراسة موضوعية: منهج القرآن في إثبات البعث للدكتور منظور بن محمد بن محمد رمضان[2]، أستاذ بكلية المعلمين قسم الدراسات القرآنية بمكة المكرمة، والملاحظ فيها إكثاره لمسالك الاستدلال المقحمة دون طائل من ورائها من مثل؛مسلك المنازلة والتحدي ضمن الأدلة النقلية التي تثبت إمكان البعث، ومسلك الاعتبار والاستبصار، وأيضا التقصي والاستقراء وما هي إلا ميزات امتاز بها أسلوب آيات البعث في الدعوة والمحاورة؛ رغم أن محاورة القرآن في هذا الشأن لم تتسم بميسم التحدي المباشر كما أورد هذا الباحث.

تحديد المفاهيم

1. مفهوم البعث:

جاء في مختار الصحاح قوله[3]: بَعَثَ: "بعثه وابتعثه بمعنى أي أرسله فانبعث وبعثه من منامه أهبه وأيقظه وبعث الموتى نشرهم".

ويقول الر اغب الأصفهاني[4]: بَعَثَ: أصل البعْث: إثارةُ الشيء وتوجيهه، يُقال: بعثتُه فانبعث، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما عُلِّق به، فبعثتُ البعير: أثرتُه وسَيَّرته، وقوله عزوجل:﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الأنعام: ٣٦، أي: يُخرجهم ويسيّرهم إلى القيامة، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ المجادلة: ٦. ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ التغابن: ٧ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ لقمان: ٢٨ **فالبعث ضربان:**

- بَشري، كبعث البعير وبعث الإنسان في حاجة.

- وإلهي، **وذلك ضربان:**

أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع، عن لَيس، وذلك يختص به الباري تعالى، ولم يقدر عليه أحد.

والثاني: إحياء الموتى، وقد خص بذلك بعض أوليائه، كعيسى عليه السلام وأمثاله، ومنه قوله عز وجل ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦﴾ الروم: ٥٦ ، يعني: يوم الحشر، وقوله عز وجل ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ ...٣١﴾ المائدة: ٣١ أي قيَّضه،﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠﴾ الأنعام:٦٠، والنوم من جنس الموت فجعل التوفي فيهما، والبعث منهما سواء".

2. **البناء:**

لغة: من الفعل الثلاثي بنى: وبناءُ الشيء **لغة**، ضمُ بعضهِ إلى بعض[5].

يقول تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ هود: ١ فالإحكام - هنا- من إحكام البناء بحيث يمتنع أي اختراق له لمتانته وقوته، ويدل عليه أو يدل له قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ الحج: ٥٢ بحيث يمتنع على الشيطان أن يبلغ شيئا منها، فهي لتطمين البشرية أن هذا القرآن محفوظ ومغلق بإحكام أمام كل محاولات الاختراق.... وعلى هذا يوصف القرآن بـ «الوحدة البنائية» فالقرآن المجيد واحد لا يقبل بناؤه وإحكام آياته التعدد فيه أو التجزئة في آياته، أو التعضية بحيث يُقبَل بعضه، ويُرفَض بعضه الآخر، كما لا يقبل التناقض أو التعارض وغيرهما من عيوب الكلام[6].

اصطلاحا: البناء هو عِمارات تنتظم سور القرآن الكريم فترتبط وتتناسب آياته وأفكارها وموضوعاتها بعضها مع بعض، فلم تكن مجرد آيات أملتها مناسبات خاصة[7].

3. مفهوم المنهج

لغة: من مادة (ن ه ج)، طريقٌ نَهْجٌ: بَيّنٌ وَاضِحٌ.[8]

اصطلاحا: للمنهج تعريفات مختلفة اخترت منها ما يلي:

"قانون ناظم ضابط يقنّن الفكر ويضبط المعرفة"[9].

"الطرق والمحددات المنهجية التي تستعمل لإنتاج معرفي موحد لا يتغير ذلك الناتج مهما تغير الزمان والمكان أو الإنسان الذي يستخدم ذلك المنهج"[10].

منهج المعالجة

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، حيث تتبَّعت لفظة "البعث" بمرادفاتها في القرآن الكريم مع شرح أغلب الآيات التي أوردتها بحسب المعنى المُراد، وتماشيا مع توظيف أدلة القرآن و براهينه.

وقد يتراءى لأي باحث أن عملية إحصاء مفردة البعث في القرآن الكريم أمر سهل، غير أن ما قد يغيب عن الأذهان أن لفظ البعث بمرادفاته المختلفة قد يصل إلى حوالي مائتي آية ومع ذلك فالإحصاء متعسر؛ لأن ذكر يوم البعث يستغرق آي القرآن تقريبا بدءا بالفاتحة إلى خاتمة القرآن الكريم، ويأتي ذكره بمعان مختلفة تدل عليه دون صريح اللفظ بالبعث، حيث سمّاه المولى عزوجل بيوم الدين، وسمّاه في آيٍ أُخَر بيوم القيامة ويوم الحساب، ويوم الفصل، ويوم التغابن، ويوم الميعاد...الخ، وتعددت أسماؤه لكثرة معانيه؛ والتي تصل 63 اسما[11].

والملاحظ في كتب القدامى وحتى في الدراسات الموضوعية لمواضيع القرآن اهتمام الباحثين ببيان أهمية البعث من خلال القرآن الكريم دون التركيز على القرآن المكي أو المدني،

رغم ما لذلك من دلالات في إبراز أهميته، حيث يذكر دائما مقترنا بالإيمان بالله عزوجل، لأن البعث كما قلت يستغرق آي القرآن كله، ويرتبط بكل موضوعات القرآن الكريم فيشكل معها لُحمة ونسيجا وبالتالي فاهتمام القرآن الكريم ببيانه لا يقتصر على المرحلة المكية-رغم امتداد البناء العقدي في عهده ρ إلى ما يقرب الثلاثة عشر عاما-وإنما تجاوزه إلى المرحلة المدنية لأن عقيدة البعث تحتاج إلى أن يُذكَّر بها الناس في كل وقت لأنها الأصل الذي سيؤول إليه كل الخلائق.

واقتران البعث بالآيات الكونية أيضا يدل على عدم أهمية البحث في المكي والمدني بالنسبة لآيات البعث، خاصة وأن الآيات الكونية تغطي القرآن الكريم.

وتحمل لفظة البعث معاني القوة والحركة الشديدة، وسواء كان اللفظ فعلا أو مصدرا أو اسم مفعول فإنه يفيد معنى خروج الخلق من قبورهم يوم القيامة[12].

وقد وردت صيغة "يوم البعث"مرتين في موضع واحد من سورة الروم الآية 56، حيث تفيد في الأولى الغاية ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ... ٥٦﴾ الروم: ٥٦ وفي الثانية الابتداء والإخبار مع التعجب من الجهل ﴿...فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦﴾ الروم: ٥٦

وورد لفظ البعث مصدرا في **أربعة مواضع**: الحج(5)، مرتين في سورة الروم(56)، لقمان(28).

وجاء في صيغة اسم المفعول في **تسعة مواضع** الإسراء(49،98)، المؤمنون(37،82)، الصافات(16)، الواقعة(47)، المطففين(4) [13]

وأُوجز بعض المواضع التي ورد فيها لفظ البعث دون ذكر صريح له ولمرادفاته[14]:

سورة التغابن: 7، والبقرة: 28، 56، 243، 259، 260 والأنعام: 36 والأعراف: 14، 57، 167 وهود: 7 والرعد: 5 والحجر: 36 والنحل: 21، 38 والإسراء: 49-51، 98 والكهف: 19 ومريم: 15، 33، 36 وطه: 55 والحج: 5، 7 والمؤمنون: 16، 37، 82، 100 والشعراء: 87 والنمل: 65 والروم: 56 ولقمان: 28 وفاطر: 9 ويس: 33، 79-83 والصافات: 16، 144 وص: 79 وفصلت: 39 والشورى: 9، 29 وق: 15 والواقعة: 47-72 والمجادلة: 6، 18 والقيامة: 3، 4، 36-40 والمطففين:4.

ومن خلال عرض أرقام الآيات نتلمَّس مدى اهتمام القرآن الكريم بقضية الإنسان ومصيره، وعلاقته بالكون وبالأحياء، إذ تمثِّل القضية المحورية الثابتة في القرآن الكريم والتي يتكرر عرضها لأنها القضية الأساس للوجود، فكان من أساسيات المنهج القرآني لفت انتباه الإنسان إلى القضايا الأساسية لوجوده، ولقضية البعث نصيب وافر يشرحه المنهج القرآني في بنائه للإنسان الواعي لحقيقة هذا الوجود.

ومن ثمَّ فالمنهج القرآني، هو الطريقة التي يُحصِّن بها القرآن الفكر الإنساني من الانحراف، ويوجهه بها إلى إدراك غايات الوجود ثم الحكمة من البعث.

وسوف أشرح المنهج القرآني في كيفيته لبناء عقيدة البعث كما يلي:

أولا: طبيعة المنهج القرآني في إثبات البعث

يتسم المنهج القرآني بميزة ابتنائية شاملة، وتُبنى فيه آيات البعث بناءً متراصاً تتآلف فيه مع موضوعات السور، لِتبني معاني هذه الآيات لكل متدبر ومتفكر رابطا يؤاخي بين القُوى المختلفة للنفس البشرية، التي يقع عليها التأثير الذي ينسحب على عناصرها وقُواها العاقلة متكاملة، ومن مظاهر بناء آيات البعث التي تُجلي المنهج القرآني بهذا التكامل ما يلي:

بنائية المنهج القرآني في عرض عقيدة البعث:

1.الوحدة البنائية في آيات البعث: تتسلسل أدلة البعث متضمنة الهدف الكلي الذي تقصد إليه الآيات المتصلة بالمعاد وإقرار عقيدة اليوم الآخر، وهو تحقيق العبودية الخالصة، وغايتها ابتداءً تعديل السلوك[15]، يقول الله عزوجل:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ هود: ١١٠ - ١١٢، وتربية الالتزام في الفرد المسلم، يقول عز وجل﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ يس: ١١ - ١٢، إلى جانب بعث روح المسؤولية فيه، يقول عز وجل:﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الصافات: ١٥ - ٢٤، فغاية الآيات التعبد والتزكية، بغض النظر عما تعقده من محاجَّة للمنكرين؛ لأجل بيان انحرافهم.

وتجتمع هذه الأهداف والأدلة في وحدة بنائية تمتزج فيها المعاني المختلفة للآيات ضمن وشائج محكمة لموضوعات السور التي تصب في محور رئيس، وهو الإيمان الذي يتنامى من الإقرار بعقيدة اليوم الآخر والتصديق بالنبوات إلى إحقاق التوحيد الصافي.

وبقدر ما تُبنى عقيدة الإيمان بالبعث في النفوس وتترسخ في العقول، تظهر آثار ذلك في سلوكات الفرد تجاه نفسه ومجتمعه وتجاه ربه، فلهذه العقيدة الدور الفاعل في بناء الإنسان المتكامل على كل المستويات، العقلية والنفسية والروحية.

وكما تلتحم هذه المعاني في السورة وفي سور القرآن الكريم ككل مؤدية الغرض من هذه اللُّحمة، كذلك تتحد في تربية الإنسان مشكِّلة مفردات التربية التي يتقوَّم بها مجتمعة.- تمتد لتطال جميع جوانب الحياة الإنسانية؛ فهي كلٌّ متكامل من التربية الروحية، والتربية الخلقية، والعقلية، والجسمية، والدينية، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى الجمالية...الخ[16].

2.البناء العقلي والنفسي في آيات البعث:

- إن البناء العقلي هو بمثابة التربية للعقل، والترشيد لخطواته، وهي التوجيه والتسديد الذي يُقدِره على عمله، وفي المقابل من ذلك فتربية آيات البعث هي إعفاءٌ له عن الخوض فيما هو فوق إمكاناته، فنجدها تتعالى عن أي قسر أو قهر للإنسان؛ لأن الغاية منها بعث روح الاقتدار والحرية فيه لأجل أداء مسؤولياته. وإحداث التوازن التربوي اللازم لقُوى الإنسان كلها[17].

ويمكن استنتاجُ أنواعٍ من التربية العقلية التي حرصت آيات البعث على إكسابها للبشرية وهي:

1.**التربية الكونية:** حيث يكتسب الإنسان من مجموع الآيات التي حفلت بذكر مكونات هذا الوجود؛ من سماء وأرض وجبال، و...الخ، قيمتين؛ قيمة أخروية وقيمة دنيوية، أما **القيمة الأولى:** فإن عظمة هذا الكون تَهيبُ بالإنسان العاقل أن يدرك مآلات المكوِّنات، حَرِيٌّ بالمتأمل أن يدرك غاية الخلق، ومقصد الفناء الذي يتبدَّى في كل لحظة من عمر الموجودات، وأولها الإنسان؛ الذي لا بد له من النظر حوله إلى أشكال البعث التي تتراءى في كل حين لِيبني قناعته بالبعث الأخروي.

لقد تعبَّد الله الإنسان، من بين ما تعبده به؛ التفكر والنظر العقلي، حيث يقول عز وجل: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ

رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾ الطارق: ٥ – ٨ ودعاه إلى رؤية العالَميْن العلوي والسفلي على حد سواء، ولم يكن ذلك إلا لما يعود عليه من منافع عاجلة وآجلة[18].

ومعرفة سنن الله الكونية -وهي من السنن الإلهية- هو ما ينفي عن حياة الإنسان العَبث ويُعطيها قيمتها، والاهتداء بها شرط أساس لتحقيق الشهود الحضاري وإنشاء الإنسان الصالح[19].

القيمة الثانية: عندما تُنبه هذه الآيات الإنسان إلى الوشائج والجسور التي تربط الإنسان بالكون، فهي من هذه الناحية تريد أن تغرس في نفسه جملة معانٍ موجودة في الكون، ومن جملة ما تغرسه قيمة التسخير الحقيقي الذي يحقق العمار والاستخلاف المنشود.

2. **التربية العقلية بالحوار:** لم يغب عنصر الحوار عن آيات البعث التي أكدت على قيمته في تمكين العقل من بناء القناعات التي لا تزول، وإنَّ هذا مما يُلفت انتباه الإنسان إلى أهمية الحوار الهادئ في توصيل المعارف، عن طريق الاقتناع التلقائي؛ الذي يُجبر الإنسان عن التخلي عن قناعاته الخاطئة بالإلزام المنطقي الفطري البَدْهي دونما فرض لمقصود الآيات أو إحلاله عنوة[20].

ولهذه التربية مراحل[21]:

تكوين الخبرات: بنقل الإنسان من مستوى الخبرات الحسية؛ التي تتأتى من صلته بالكون والموجودات إلى مستوى الخبرات العقلية التي تضع الإنسان في دائرة التعلق بالخالق دون سواه، يقول تعالى في محاورته لخلقه: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠﴾ الغاشية: ١٧ - ٢٠

- **البحث عن العلاقات:** بمناشدة الآيات الكونية الإنسان بالبحث عن علاقة مكونات الوجود بخالقها، وما يمكن أن تنشئه هذه العلاقة من معارف لا تقتصر على الدنيوي وفقط وإنما لها امتداداتها.

• **تربية العقل على التفكير المنظم:** الذي يستفيد من الحواس في تكوين خبراته عن التناسق والتكامل الذي يخضع له الوجود، خاصة وأن البحث عن سر ذلك، أمر رباني غايته الوصول إلى من أحكم نواميس الكون وقنّن ذلك ونظّمه. ومتى وصل الإنسان بعقله، سما بمشاعره إلى إدراك حقيقة هذا التنظيم وهذا التسخير الذي هُيء لمصلحة الإنسان.

إن القرآن يطالب الناس بهذا الأسلوب التربوي المتكامل بالسمو إلى مستوى الأمانة التي امتُحِنوا بها.

• **تربية الحواس:** وهي المشترك مع العقل في الوصول إلى المعرفة، وهذه التربية تتجه بالبصر إلى النظر فيما حوله من دلائل عظمة الخالق، وبالسمع إلى الاعتبار بآثار السابقين، فحواس الإنسان هي أدواته المعرفية في الاستدلال والتقصي عن الحقائق الغائبة.

تربية العقل على المحاكمة والاستدلال: للحوار القرآني عشرات الأسئلة التي تدفع بالإنسان إلى الاستدلال الذي ينقل الذهن من مقدمات بدهية مسلَّم بها إلى نتيجة تَلزم عنها الفطرة، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحقاف: ٣٣ فالقرآن يوقظ الفطرة وينبه العقل إلى أن الذي قَدَر على خلق السماوات والأرض قادر على إحياء الموتى.

• **تربية العقل على الاستدلال بالآثار التاريخية:** والاعتبار بما مَضت به سُنَّة الله في الأولين وذلك بالسير في الأرض لمعرفة ما حل بمن جحدوا حقائق الإيمان وغفلوا عما يدل عليها من حقائق الكون.

لآيات البعث في التربية أثر فاعل، ودور بارز، ونهج متكامل يؤصِّل للتربية الصحيحة، التي تحتاج إليها فلسفات التربية الإسلامية اليوم؛ والتي مهما تعمقت في دراساتها لمعرفة 'الإنسان المراد تربيته' بكل ما يحمل من طبائع وقابليات واستعدادات، لوضع نهج علمي نفساني يرتقي لمستوى المخاطبة والإقناع، ويرسم معالم الإلزام بالعقوبات والمكافآت، فلن تعرف للنفس

خباياها وتعقيداتها كما الحال مع خالقها عزوجل الذي سوَّاها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ الشمس: ٨ فالضرورة اليوم تحتم العودة إلى القرآن الذي حمل أسس التربية الصالحة، والمنهج القويم في تهذيب النفس وعلاج رعوناتها، وتقويم اعوجاجها وانفلاتاتها وكبح جماحها، مما ركِّب فيها من غرائز وطبائع وميولات قد تحيد بها في أغلب حالاتها عن جادة الصواب لتَذهل عن الغايات التي لأجلها خلقت[22].

شمولية بيان ووظيفة آيات البعث: إن أجلى سمات البيان القرآني: الشمول، الذي نلمسه في آيات البعث، التي تُلفت الانتباه إلى حقيقة المعاد دون إغفال لكبريات حقائق الوجود، حتى إن المتدبر لَينجذب إلى هذا البيان لِيتساءل:

- كيف تنتقل آيات البعث من دليل عقلي إلى دليل كوني إلى تاريخي فيظهر ذاك الرباط الخفي بين هذه الأدلة التي تأتي متراصفة يَكمل بعضها مع بعض، وتبلغ الغايةَ من التأثير دونما شطط، ومن غير فصام بينها.
- وكيف تُفهِم هذه الآيات النَّاس، وتُحيل المعقول محسوسا، وتُقرب صورة البعث الأخروي إليهم بأدلة عقلية لا يتطرق إليها الوهَن، وأدلة تاريخية قاطعة، وأدلة كونية تَذهل لها العقول المتسامية.
- وكيف تخاطب الكِّيان الإنساني دونما إهمال لجانب على حساب آخر، فلا تُربك الإنسان ولا تُشوش عليه.

لقد شمل بيان آيات البعث، حقائق الإيمان، فأكد على الألوهية خاصة، والتي تُعد المدار الذي تتمركز حوله الحقائق، وامتد ليشمل حقائق الكون والوجود وما ينتظم الحياة الدنيا والآخرة معا.

وخاطبت الآيات الناس بأساليب شتى، لا نجدها تؤدي في كلام البشر الدور الذي تؤديه أساليب آيات البعث، التي تعتمد أكثر ما تعتمد الحوار والمناقشة، وقد تتجاوزهما إلى الجدل إذا

اقتضى الأمر خاصة مع المعاندين والمستكبرين، وتعتمد أيضا أسلوب الاستفهام، وأسلوب القصة وضرب الأمثال، ومخاطبة العقل والقلب، ومخاطبة الفطرة.

- إن استيعاب خطاب آيات البعث لكينونة الإنسان، وتكامل منهجه في بناء الفرد السوي؛ الذي تتزن فيه متطلبات النفس مع الجسد، وما تكمل به دنياه وآخرته معا، ليُعدُّ دليلا واضحا على شمول وظيفة آيات البعث؛ التي استوفت ما يتعلق بجوانب الحياة الإنسانية، وما تتقوَّم به.

هي الميزان الذي يمنح الإنسان فضيلة التفريق بين الوجودين المتقابلين ظاهرا؛ المتكاملين في حقيقتهما، حيث تهدي العقل وتنقذه من نقائض التفكير والعمل لأجل الدنيا والآخرة على السواء، من دون أن يحجبه العيش للدنيا عن التكليف الذي أنيط به لأجل الآخرة، فليس السعي لأجل الدنيا ضلالا عن سبيل الآخرة[23].

فمن لطائف إعجاز آيات البعث التحليق بالإنسان عبر جناحَي الدنيا والآخرة، فلا هي تدعو لتقنيط النفوس وإبعادها عن مهمة الاستخلاف، ولا هي أمر بتبديد الآمال في الدنيا إلى حد الغفلة عن الله والدار الآخرة.

إن الاعتدال الذي تنشده يُعد أكبر مُعين للإنسان على تحقيق الوعد الإلهي إلى جانب تحقيق مقصد الخلق وتمكين سبل تسخير الكون؛ خاصة وأن ترقُّب الجزاء على الأعمال أكبر دافع للتسخير المثمر. وآيات البعث هي الميزان الذي يضع الإنسان عند هذا الاعتدال، فليس من الحكمة أن يُترك الناس هَملاً لا يرجون قيمة ما يعملون لأجله.

ثانيا: قواعد المنهج القرآني في الاستدلال على البعث

- **مراتب الدلالة على البعث:**

1. **الدلالات العامة:**

- **الدلالة النقلية:** لا يُستدل على وقوع البعث، ولا تُثبت حتميته إلا سمعا، بإخبار الأنبياء بذلك بعد أن تَثبت نبوتهم بالأدلة[24]، فقد أقره المولى عز وجل ؛ وهو "**واقع كائن من غير ذكر الدليل فيه وإنما جاز ذلك لأن كل ما لا يتوقف صحة نبوة الرسول عليه أمكن إثباته بالدليل النقلي**"[25]

- **الدلالة العقلية:** احتج الله تعالى على إمكان البعث وجوازه بما يلي:

-الإستدلال بعموم قدرته تعالى.

- **القادر على الخلق قادر على الإعادة**[26]: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥﴾ ق: ١٥- **القادر على الإماتة قادر على الإحياء:** يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨﴾ غافر: ٦٨

- **القادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه:**﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ غافر: ٥٧

- **الدلالة التاريخية: "وهو البرهان الذي يقوم على أساس الرواية الموثقة عن أحداث سبقت"**[27]، تعبر بلسان الحال عن المشاهد القرآنية التي تصوّر ما أجراه الله عز وجل من صور الإحياء بعد الإماتة.

- **الدلالة الحسية:** إن دلالة الآفاق والأنفس لهي أكثر الدلالات ورودا في آيات البعث، "**وهي براهين قطعية وأدلة عيانية شاهدة على أن الإعادة حق وأن الله على كل شيء قدير، وأنه لا يعجزه شيء وذلك أن للإعادة أشباها ونظائر يتقلَّبون فيها ويشاهدونها بأعينهم**"[28].

2. **الدلالات الخاصة**

من غير المعقول أن تكون دلالة الخطاب الرباني واحدة وإن أفصح ظاهره بذلك، فخطابه للعامة يختلف عنه للخاصة، حيث تمايز مراتب الدلالات بحسب تمايز إدراك العقول، فالمتمعن

في آيات البعث يستشف تمايز مستويات الخطاب، فلم تتوجه الأدلة بنفس الأفق من البيان، ففوارق تأسيس القناعات واضحة بحسب تلقي معاني الآيات واستثمار مضامينها، بل حتى على مستوى الفرد الواحد لم يكن الخطاب الموجه للعقل هو نفسه خطاب الوجدان.

فدلالة "أو لم يتفكروا" ليست هي نفسها دلالة "أولم يسيروا...فينظروا" فالأولى تدعو إلى إعمال العقل، وتحتاج الثانية إلى حضور النفس للاتعاظ بما لحق الأمم الهالكة من وبال[29]، غير أن القرآن لا يبخس حق العاطفة على حساب العقل أو العكس رغم أن "**القوى العاقلة والقوى الشاعرة في بني الإنسان غير متكافئة**" [30].

مقاصد دلالات آيات البعث وآثارها: اعتمد القرآن الكريم في بيان حقيقة البعث وثبوته أدلة مختلفة ومتنوعة تراوحت بين الدليل العقلي والدليل الحسي ودلالة التاريخ، وخاطبت الآيات المتنوعة في دلالاتها الكافر والمؤمن على السواء، غير أن ميزان التلقي يتأرجح بحسب الاقتناع؛ فليس ما استقر عند المؤمن من قناعات حِيال البعث وقضايا الإيمان مجتمعة كمن يحتاج إلى مزيد الحجج ليدرك الواضحات.

وتنويع القرآن في الدلالات لكلا الفئتين، لم يكن اعتباطا، ولا لمجرد التحدي وإظهار البيان أو لمزيد المحاجة- رغم عجز المنكرين عن مقارعة الحجة بالحجة - وإنما في ذلك إشارات خفية وأخرى ظاهرة يقصد إليها الوحي في إقامة البراهين على الناس.

ولقد حاجَّ القرآن الكريم المعارضين للبعث بصور مختلفة، وطرق متنوعة تقصد بيان قدرة الله الباهرة في الإنسان والكون. فأطوار الخلق التي يمر بها الإنسان، وما تُخرج الأرض من نبات لَهي آيات من آيات قدرته تعالى [31]، فآيات البعث "**تجعل من الكون...مادة توصيلها، وذلك بوازع توحيدي جلِّي، غايته تفنيد عقيدة الشرك، بِلَفت العقل إلى مواطن الاعتبار في ما يحيط به من آثار كونية تحمل دلالة الوحدانية**"[32].

ومن ثمَّ فالمعالجة تزيد بزيادة وتيرة المعاندة، ولم تلق مسألة الألوهية من العَنَتِ والاستنكار ما لقيته مسألة البعث التي استشكلت على من غابت عنهم صفات الكمال الإلهي؛ من قدرة وحكمة وعدل...، مقرونٌ بذلك العنادِ استكبارٌ يُفصح عن قلوب مُقفلة أعماها التقليد والتطلع إلى الوراء إلى ماضي الأجداد.

وتكاثفت الأدلة لإثبات البعث، وكان للتنويع دوره في غلق الباب على كل جيل يأتي، بعدم كفاية الحجة، أوغرابتها وعدم موافقتها للزمان والمكان؛ فهي أدلة تماشي كل زمان، وتخاطب كل العقول، وتُفهم كل المستويات كما سبق وأن قيل، حيث امتصت هذه الأدلة الاستنكار الذي عرفته مسألة البعث عبر الأزمنة والأمم، وقلَّلت من حجم الاستهجان والاستغراب الذي ملأت مشاهده سور القرآن الكريم، فأحالت الأمر إلى بدْهيات ومسلَّمات لا يمكن أن تتناقض مع العقول السليمة.

وأوصدت منافذ التبرير في ترك الإيمان بالبعث والتبرُّم من أوامر الله عز وجل إنْ في الدنيا أو يوم القيامة، يقول تعالى ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾ المرسلات: ٣٤ - ٣٦

ثالثا: خصائص المنهج القرآني في التدليل على البعث.

- **الجمع بين قراءة آيات البعث والكون**

بُنيت عقيدة البعث على أساس الإيمان بالله عز وجل، وتوجَّهت آيات البعث إلى بناء الحقيقة التي تدور حولها كل الحقائق، وتسير في فلكها؛ ألا وهي حقيقة الألوهية التي إذا غابت عن الفهم وتماهت من حيث تصوُّرها، فقدت كل الحقائق قيمتها.

فالخلق والتسخير، وإنشاء الناس والأنعام، وخلق الإنسان أطوارا، من أكبر دلائل الوحدانية، فلا تخفى دلائل العالَم الأعلى والعالَم الأسفل إلا على قوم تَبَّع تحجبهم صوارف أهل الكفر وشياطينهم عن إدراك مثل هذه البدهيات[33].

فبهذا التوظيف المتنوع عرضت آيات البعث رسالتها التوحيدية، "**وصبَّتها في ثلاث دوائر بعضها يُحيل إلى بعض، فهناك الدائرة الإلهية، وهي المرجعية الكونية الخالقة المدبِّرة، والمستوعبة لكل شيء، وهناك الدائرة الكونية بمجاليَّتها الحسِّية والحيوية(حيوان، إنسان، زرع)، وهناك أخيرا الدائرة الغيبية المتمثلة في العالم البَعدي أو المصير الأخروي المقرر**"[34].

وآيات البعث هي مورد استقاء المعارف الكونية، فما من موضع من مواضع التنبيه الرباني إزاء التصديق بالمعاد إلا وتسلسلت فيه الدلالات العامة والخاصة في التعريف بالوجود.

فإذا ما تعمق البشر في قراءتهم لأساسيات النهوض بالمعارف الكونية، كانت آيات البعث إحدى محركات هذا النهوض ومدار الارتقاء بالعلم الإنساني، فلا يمكن أن يستقل الكون عن آيات البعث في ترشيد الفهوم البشرية.

إن التوجُّه نحو توحيد الفهم، بمزج كتابَي الله المسطور والمنظور، من خلال الوحدة البنائية التي يُجمع فيها بين ما يُستقى عن الكون من خلال القرآن الكريم، وبين ما تُختزل رؤاه عن الكون في التوجه به لفهم القرآن الكريم كله لا يصب إلا في دائرة التكامل بين آيات البعث والكون في إنتاج المعرفة التي ترتقي بالإنسان، وتمنحه السعادة في العاجل والآجل.

- **البعث بين الوعد الأخروي ومبدأ الحوار**

يُعد الحوار آلية من آليات التقريب بين البشر، ووسيلة علاج للاختلاف القائم في وجهات النظر، غير أن الحوار الذي يتبدَّى من خلال آيات البعث يختلف تماما عن تلك الوجهة، ولا يقصد التقريب بقدر ما يقصد بيان الحقائق وتقريرها تقريرا وإن أوحى بالحتمية فهو في منأى عن الإكراه والقسر في تغيير القناعات.

ويرتكز هذا الحوار على بيان الاستدلالات القرآنية على البعث، وطبيعة المنهج القرآني في عرض الحقائق بما يلائم حال المتلقِّين من المنكرين وغير المنكرين، فالحوار سبيل من سبل توضيح وبيان المقصود.

ويُعد الحوار الذي احتوته آيات البعث واحدا من أساليب الإقناع التي اعتمدتها أدلة الآيات و"...**من هنا تجرد الخطاب القرآني عن كل مظاهر التجمد الفكري، وابتعد عن نزعة الإلزام العشوائي، غير المسوغ، وعن التقرير الفوقي الاعتسافي**"[35]، فهو حقيقةً أجلى "**تصوير لعدالة يوم الحساب**"[36]، كيف لا ورب العزة هو من أمر بالتزام الحوار الليِّن الراقي حيث يقول ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥،إنه أمر رباني يُربِّي الناس على أسس الحوار، الذي لا يثمر إلا إذا نشأ في جو من الحرية، يتلافى الضغوط، ويتجرد عن القَبْليات والبَعْديات، وما تنطوي عليه من إغراءات وتزييفات، وإنما يكتسب حصانته من أدلة عقلية وشواهد واقعية[37].

نتائج الدراسة والتوصيات

إن البحث في القرآن الكريم بحث في معين لا ينضب، فلا أشرف من الإهتمام بالقرآن الكريم وما يُعرَض حوله من موضوعات، فهو مُعجِز لا تنقضي عجائبه وهو المَعين الذي لا يخلق على كثرة الرد، فعسى أن تجد فيه الأمةُ ضالتها، وعسى أن تتنبَّه إلى ما تحمل فيه آيات البعث من دِلالات الإعجاز الذي يدفع بها نحو النصرة والتمكين، وما لهذه الآيات من فاعليةٍ في إيقاظ الهممِ والعقول.

لقد دلَّ القرآن الكريم على المنهج الأمثل الذي تستمد الأمة منه قوتها، وتستوحي رقيَّها لبناء حضارتها، إنه المنهج الذي يعلمها كيف تنشد وِحدتها وانبعاثها؛ الذي لن يكون إلا إذا صَحت من نومتها الطويلة، وعَملت على بَعثِ نفسها؛ بَعثَ الدنيا الذي لن تشهده إلا إذا فهمت عن

الله، وعادت إلى منهجه، ذلك الذي توجزه آياتُه المنظورة مكمّلة لآياته المقروءة ممثَّلة في آيات البعث الأخروي، التي تعطينا منهج الحياة المستقرة والمتعالية عن العبث الذي يُفقدها قيمتها ونظامها وصفاءها والحكمة من امتحان البشر بها.

إن لآيات البعث منهجا يُبرئ الإنسان من عيش المتناقضات، ويُسْلمه من الوقوع في المتضادات من حيث التوفيقُ بين المتقابلات: بين مُتع الدنيا وتكاليف القدوم على الآخرة، فلا يمكن أن نتصور هذا المنهج المنظَّم والمتكامل من غير قواعدَ وخصائصَ دالةٍ عليه، تكمُنُ فيها دلائلُ البعث الشامل: الحضاري والأخلاقي... إلى غير ذلك، والتي إذا وُفيَّت حقها من التطبيقِ وفَّتْ حقَّ الإنسانِ من الرقي.

وتُبرز آيات البعث قيمة المنهج القرآني في تجلية الحقائق الغائبة عن الإنسان والتي لا يتلمَّسُها إلا من خلال آيات الله المكنونة في كِتابيْه المسطور والمنظور، أما اجتهاده خارج هذه الدائرة فهو خبط عشواء يُبقي خطاه تُراوح مكانها. فلا أسْلم من منهج رباني يُقيم الإنسان ضمن خط الصواب الذي يمنحه التوازن في الأخذ بين مطالب الدنيا واستحقاقات الآخرة.

قد يتوقف الإنسان مَليًّا عند سمات هذا المنهج المتكامل؛ الذي يُعلي من شأن العقل ويأخذ بيده إلى سُبل المعرفة عبر مستويات الحوار الراقي الذي يُربي بقدر ما يَبْني الإنسان الفاعل الذي يُتاجر في دنياه بما يُربحه آخرته، ولكنه يقف طويلا عند براهينه وأدلته التي تركت الناس على المحجة البيضاء وأوصدت أبواب اللَّجج وما يُسفر عن عقيم الجدل.

فلا نستوصي بعد ذلك المنهج الرباني بالإنسان خيرا ولكنَّا نستوصي الإنسان بالمنهج الرباني عنايةً وتطبيقاً وتفعيلاً، فهو منهج الحياة؛ فإذا أردناه منهج الحياة الدنيا فهو لها خير مُعين على تسديد الخُطى، وإذا ناشدناه الآخرة فلا أدل على الطريق المستقيم من منهج يُحيي الإنسان حَياتَيْن، ويمنحه الخلود الذي ينشده.

الهوامش

[1] عبد الحليم لالوسي، البعد العقدي للأمثال القرآنية، **رسالة ماجستير**، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة-الجزائر، 2003م.

[2] منظور بن محمد بن محمد رمضان، منهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، تفسير موضوعي، سلسلة دعوة الحق، 1424هـ2003م، العدد 201.

[3] مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ط1، المطبعة الكلية -مصر، 1329هـ، ص60، 61.

[4]الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط3، دار القلم دمشق-سوريا، الدار الشامية بيروت-لبنان، 1423هـ 2002م، ص132، 133.

[5] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399ه 1979م، ج1، ص202.

[6] طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مكتبة الشروق الدولية، ط1 1427هـ 2006م، ص 13،14

[7] محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم، دط، مجمع البحوث الإسلامية، دت، ج1، ص7، 8.

[8] ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، باب النون، مادة نهج.

[9] طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية، ط1، دار الفكر-دمشق، 2009م، ص102.

[10] المرجع نفسه، ص92.

[11] الحاج محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، تحقيق مصطفى بن الناصر وينتن، دط، نشر جمعية التراث، دت، ص125.

[12] عبد السلام التونجي،الإيمان باليوم الآخر، ط2، 1426هـ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس-ليبيا، ص81.

[13]المرجع نفسه، ص79، 83.

[14] عبد السلام التونجي، الإيمان والدين في القرآن، ط1، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1423هـ 1994م، ص124.

[15] "هو عملية تقوية السلوك المرغوب به من ناحية، وإضعاف أو إزالة السلوك غير المرغوب فيه من ناحية أخرى"، نقلا عن: عدنان أحمد الفسفوس، المرجع البسيط في أساليب تعديل السلوك، ط1، 1432هـ 2011م، ص 18.

[16] علي عبد الحليم محمود: التربية الإسلامية في سورة المائدة (سلسلة التربية الإسلامية في القرآن)، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، - 1414هـ 1994م، ص55، تربية الناشئ المسلم، ط2، دار الوفاء-المنصورة، 1413هـ 1992م ص176.

[17] علي عبد الحليم محمود، التربية العقلية، دط، دار التوزيع والنشر الإسلامية مصر، 1417هـ 1996م، ص46(بتصرف).

[18] يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، ط1، مكتبة وهبة القاهرة-مصر، 1416هـ 1996، ص258 (بتصرف).

[19] حسين شرفة، سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، ط1، مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان، 1429هـ 2008م، ص66.

[20] عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالحوار(من أساليب التربية الإسلامية)، ط1، دار الفكر-دمشق، 1421هـ 2000م، ص13، 14.

[21] المرجع نفسه، ص209-219(بتصرف).

[22] نديم الجسر،التوجيه الإسلامي للشباب، من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية،القرآن في التربية الإسلامية، دط، منشورات المكتبة العصرية صيدا-بيروت، 1391هـ1971م، ص 43(بتصرف).

[23] عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، دط، دار الإسلام القاهرة، دت، ص33(بتصرف).

[24] حامد صادق قنيبي، الكون والإنسان في التصور الإسلامي، ط1، مكتبة الفلاح، 1400هـ 1980م، ص 73.

[25] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ط1، دار الفكر-لبنان،1401هـ 1981م، ج1، ص123.

[26] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط2، دار المنار القاهرة-مصر، 1366هـ 1947م، ج11، 298.

[27] يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 273.

[28] عبد الله سراج الدين، الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، ط2(معدلة منقحة)، مطبعة الأصيل حلب، 1404هـ 1984م، 117.

[29] فخر الدين الرازي، المرجع السابق، ج25، ص101.

[30] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، حققه واعتنى به فواز أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي بيروت، 1415هـ 1995م، ج2، ص248.

[31] حامد صادق قنيبي، المرجع السابق، ص 77.

[32] سليمان عشراتي، الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون-الجزائر، 1998م، ص 154.

[33] فخر الدين الرازي، المرجع السابق، ج26، ص245-250.

[34] سليمان عشراتي، المرجع السابق، 159.

[35] المرجع نفسه،ص181.

[36] محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم: فعالية في بناء العقلية الإسلامية، دط، شركة الشهاب بن عكنون-الجزائر،ص52.

[37] المرجع نفسه، ص6.